قصتان

. كوليت أبو حسين ❖

كوليت أبو حسين
قاصّة وشاعرة فلسطينية تُقيم في عمّان. أسّستْ حديثًا دار كاف للنشر والتوزيع في عمّان، وهي دار نشر تُعنى بالكتابة الجديدة وتهتمّ بالأصوات الفلسطينيّة الشابّة.

١ ـ أحلام ناشفة

تقف على المجلى المُطلّ على الساحة. تراقب الشبّانَ يلعبون كرةَ القدم، بأجسادهم الفتيّة، وشورتاتهم الكالحة، وعضلاتهم الصغيرة البارزة.

لم تكن لتقايض الجليَ بأيٍّ منَ الأعمالِ المنزليّة الأخرى؛ فَقد كان الشُّباكُ الذي تغطّيه برداية القشّ سينما حيّةً، تبدأ عروضها كلّ يوم عند الواحدة والنصف ظهرًا، حين يعود الفتيانُ من المدرسة ليتوقفوا في الساحة نفسها ـ التي يُطلُّ عليها شُبّاكها ـ ليلعبوا كرة القدم.

كانت أجسادُهم الطريّة مثل قطع المارشملو، وعضلاتُهم الصغيرة مثل بالونات الماء، تشدُّها بشكلٍ غريب، وتُحرّك في الجسد المخبّأ تحت الجلباب الرماديّ قطيعَ مشاعر بريّةٍ، يقودها ثورٌ فحل.

كانت كلّ التفاصيل تصبح مادةً دسمةً لأحلامها الهَرمة. كلّ يومٍ تختار أحدَهم لتلهو معه في أحلامها. تندسّ في فرشتها الإسفنجيّة، التي تتغيّر وفقًا لحلمها الليليّ ومزاجها الجنسيّ: فيومًا تغدو «سريرًا مائيًا،» وليلةً تصبح كنبةً مقابلةً لشاشة تلفزيون مسطّحة كتلك التي تراها في الإعلانات التجاريّة، ويومًا آخر تصبح طاولةَ مطبخ. وفي كلّ الأحوال تبدأ الأحلامُ بفتًى يَدخل رطبًا تَفوح منه رائحةُ العَرق النَّديّ، يحمل كرةَ قدمٍ في يده، تنتزعُها منه لتنقضّ عليه بشبق!

ما كانت لتُقايضَ الجلي، مهما كثرت الصحونُ والكاسات، بشيء آخر. لم تتذمّر ومًا. وهذا جعلها «مَرْضيّة» عند الأم: «ما في زيّها، الله يرضى عليها، بتشتغل بتُمْ ساكت!»

كانَت تعرف تقاطيع أجسادهم جميعهم. وتعرف نقَط قوّتهم: فالبعض يَملك سواعدَ قويّة، والآخر فخذين مشدودين، وذلك الفتى الأسمر كان يَحمل التكوّر الأكبر بين فخذيه.

تَدفع بمؤخّرتها إلى الوراء بحثًا عن تكوُّرٍ ما. تَشدُّ فخذيْها. تشدُّ الليفة بأصابعها. تفور الرغوةُ. يغدو المجلى حوضًا يفيضُ شهوةً. تَنزّ فقاعاتُ «الغولدن» برائحة التفّاح على يديها، ويَنزّ سائلٌ خفيفٌ برائحة الكبْت على ملابسها الداخليّة.

تَشُدُّ أكثر على المَجْلى. تَكْتم الصوتَ المبحوح. تُرجع ظهرَها إلى الوراء بغنجٍ حقيقيّ. تنتفض بثِقل و....

تَدْخل والدتها إلى المطبخ فجأةً.

ـ شو بتسوّي؟؟

ـ ولا إشي. ضهري وجّعني!

تُعدّل من وقفتها وتستوي، مُمسكةً بصحنٍ لتنظّفه. تخرج الأمُّ من المَطبخ وهي تدعو لها بالرضى والسِّتر!

تعود الأم فتُطلُّ برأسها مرّةً أخرى:

ـ الله يجازي الشيطان. يلاّ بدنا نصلّي العصر جماعة!

تَردّ من دون أن تَنظر في عينيها:

ـ بدّي أتحمّم أوّل!

ـ ليش ياختي؟ جُنب!؟ يلا توضّي والحكيني!

ـ يمّاا!؟

ـ يلاّا!

تَنفُض فقاعاتِ الصابون برائحة الشبق والتفاح. تمشي بتثاقلٍ إلى الحمّام. تنظر إلى وجهها في المرآة. تُحبّ اللّمعةَ في عينيها السوداوين كلّما مارستْ أحلامَها في الخفاء، وترفض أن تُخبر بناتِ خالاتها وأخواتها بما يمنحها ألقَ فتاةٍ في العشرين رغم اقترابها من الأربعين.

وتعرف أنّ ما تفعله أكثرُ نفعًا من وصفات العطّار التي يُحضرنها للمحافظة على بشرتهنّ صافية بيضاء كما تفضّلها كلّ القَرويات. كيف ستقول لهنّ إنّ أحلامها الرطبة أفضلُ من أحلامهنّ الناشفة والمتشقّقة كأقدام أُمهاتِهنّ العجائز؟

الطُّرْق على الباب يتواصل لاستعجالها.

ـ الصلاااااة!

تَهْمس بتأفُّف:

ـ بدّيش أَصلّي!

تفكّر قليلاً، أَيجب أَنْ تتوضّأ؟

تغسل وجهها بسرعة. تُعدّل من حجابها وتخرج. تقف إلى جانب شقيقاتها بلامبالاة لتَؤُمهنّ الأُمُّ. تفكّر بشيء آخر، بعيدًا عن هذه العصْبة من النساء اللواتي لا يَحْلمن بشيء ولا يَنْتَفضْنَ لشيء. تَسمع صوتَ التكبير يأتي بعيدًا من أفواههنّ المكمّمة كأجسادهنّ الميتة. تُغمِض عينيها بخشوع كاذب، وتتمتم بشيء آخر.

حين انحنت للركوع، كانت ما تزال تُحسّ بأنّها تسبح بالرغوة... وبذلك التكوّرِ القاسي يتحرّك على مُؤخّرتها.

٢ ـ كيس أسود

كنتُ أبحثُ عن رجلٍ يُشْبهني

وحين وجدْتُه..

أدْركتُ مدى

بشـــاعتي!

...

تراقبُه بصمتٍ وهي تراه يُعدّ البيتَ لاستقبال المرأة الغائبة منذ سنة.

(كانت تظنّ أنّهما منفصلان، وصدّقتْه حين قال إنّها لن تعود).

يضع صورةً لهما على طاولةٍ صغيرةٍ قرب السرير.

(كانت تَظُنّ أنّ لها اسْمًا آخر، وصدّقتْه حين قال إنّها فقط طاولةٌ صغيرةٌ قرب السرير).

يُلصِق ورقةَ ملاحظاتٍ صغيرةً، كُتِب عليها «أُحبّكِ» بتاريخٍ قديم. يضع صورةً لأقْدامٍ متشابكةٍ على شاطئٍ ما.

(كانَت تظنّ أنّها بحر، وصدّقته حين قال ذلك على حدِّ موجِ الرغبة).

يكْنُس خُطاها عن الأرض. يلُمُّ شَعْرَها عن الشراشف.

يَرُشُّ مُلطّفًا للجوّ العابقِ برائحتها.

(كانت تَظُنّ أنّه يحبّ رائحتها، وصدّقتْه حين قال إنّه يفترسُها حين تَغيب).

يضع في فمه حبّةَ هولْز، مُخفيًا طَعْمَها من فمه. يلُمُّ النّفاياتِ، وملابسَها الداخليّة المُلقاةَ على الكنباية، في كيسٍ أسود. يَنظر إلى تفاصيل الأشياء حوله من دون أن يراها تمامًا. يتأكّد أنّ كلّ شيء عاد إلى مكانه، كأنّ شيئًا لم يكن، كأنّها لم تكن هنا من قَبْل. يَنظرُ إليها من دون تعابير. يُمسكُ الكيسَ الأسود بيد، ويمسكها هي بيد. يُغادران البيت. تسير إلى جانبه في الشارع من دون كلام.

(كانت تظُنّ أنّه مازال مُمسكًا بيدها، وصدّقتْه حين قال إنّه متعلّقٌ بها).

يتوقّف فجأةً. يُلقي الكيسَ الأسودَ بالحاوية.. ويُلقي بها في تاكسي!

...

ـ أتَعرفُ ما هو أكثرُ وحشةً من العتمة؟

.. رجلٌ يَتْركُكَ فيها وهو يَغيب!

عمّان